كَرَامَةُ الإِنْسانِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

حسن الصادقي

قم – جمهورية ايران الاسلامية

فحوى البحث

بحث بمنهج توصيفي و تحليلي، يعرض لدراسة كرامة الانسان كما يقررها القران الكريم.

و من أهم ما توصل اليه الباحث من النتائج: ان الكرامة تنقسم على: كرامة ذاتية، و كرامة اكتسابية، و لكل منهما مظاهر مختلفة.

فمن مظاهر الكرامة الذاتية، تسخير الموجودات للانسان و منحه العقل و العلم و الاستعداد لقبول الولاية الإلهية.

و من مظاهر الكرامة الاكتسابية، البركات الكثيرة و التي يغدقها اللّه –سبحانه– من السماء و الارض.

المقدمة

إنّ الله تعالى كريمٌ على الاطلاق: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾[سورة العلق: ٣]، ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [سورة الرحمن: ٢٧] و ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[سورة الرحمن: ٧٨]. من كرمه انزل القرآن الكريم: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة الواقعة: ٧٧] و ايضاً كرّم الانسان ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ... ﴾ [سورة الاسراء: ٧٠] و ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ... أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴾[سورة المعارج: ٢٢ -٣٥] و على هذا كرامة الانسان من اصول وجود الانسان الاساسية.

معنى الكرامة

الكرامة و مشتقاتها في اللغة تستعمل على معان اهمها:

الاول: الشرافة كما يقول الفراهيدي: «الكَرَمُ شرف الرجل»[١] و يقول ابن فارس: «الكاف و الراء و الميم أصلٌ صحيح له بابان: أحدهما شَرَفٌ في الشَّيء في نفسِه أو شرفٌ في خُلق من الأخلاق. يقال رجلٌ كريم، و فرسٌ كريم، و نبات كريم... و الكَرَم في الخُلق يقال هو الصَّفح عن ذنبِ المُذنب. قال عبدُ اللهّ بنُ مسلِم بن قُتيبة: الكريم: الصَّفوح. و اللهّ تعالى هو الكريم الصَّفوح عن ذنوب عبادِه المؤمنين»[٢] و يقول الراغب: «و كلّ شيء شرُفَ في بابه فإنه يوصف بالكرم. قال تعالى: ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [سورة لقمان: ١٠]...»[٣].

الثاني: الجود و الاحسان، كما يقول الراغب: «الكَرَمُ إذا وصف اللهّ تعالى به فهو اسم لإحسانه و إنعامه المتظاهر، نحو قوله: ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [سورة النمل: ٤٠]»[٤] و يقول الفراهيدي: «و إذا جاد السحاب بغيثه قيل كَرَّمَ»[٥] و ابن فارس: «و كَرُم السّحابُ: أتَى بالغَيث»[٦] و الجوهري: «و كَرُمَ

(١) الفراهيدى، كتاب العين، ج٥، ص٣٦٨.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص١٧١ -١٧٢.

(٣) الراغب الاصفهاني، المفردات فى غريب القرآن، ص٧٠٧.

(٤) الراغب الاصفهاني، المفردات فى غريب القرآن، ص٧٠٧.

(٥) الفراهيدى، كتاب العين، ج٥، ص٣٦٨.

(٦) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص١٧١ -١٧٢.

السحابُ، إذا جاءَ بالغيث»[٧].

اذا تأملنا في استعمالات معنى الكرامة يمكن ان نقول إن اقرب المفاهيم الى الكرامة الشرافة كما قال ابن فارس، لأن الشرافة بمعنى العلوّ و الارتفاع[٨] و هذا المعنى منظور فى موارد استعمال الكرامة و مصاديقها لكن تختلف خصوصيات الموارد، مثلا ان توصيف الانسان بالكرم يدل على ان فيه علواً و ارتفاعاً و الرجل المنعم المحسن حينما يوصف بالكرم، يلاحظ انه شريف و عال فى خلق الجود و الانعام و نظيره لايوجد او قلما يوجد و توصيف الفرس بالكرم يدل على انه عال بالنسبة الى سائر الخيل، كما ان صفة الكرم للنبات يدل على انه عال بالنسبة الى النبات الاخر في اللون او في الطعم او غيرهما.

و الاستعمالات القرآنية و الروائية تؤيد هذا المعنى. إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾[سورة الحج: ١٨] فجعل الإهانة في قبال الإكرام و الاهانة بمعنى الاستخفاف، كما يقول الجوهرى «اهانه استخف به»[٩] ففي الاهانة معنى الاذلال و التحقير و لكن في الاكرام معنى العلو و الارتفاع. و ايضاً استعملت في الروايات بمعنى الشرافة. روى فى الفريقين عن النبىﷺ انه قال: «إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ»[١٠].

و روى الكليني في الكافي بسند صحيح:

«أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنِ الْحَجَّالِ قَالَ: قُلْتُ لِجَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ إِذَا أَتَاكُمْ شَرِيفُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ لَه وَ مَا الشَّرِيفُ قَالَ قَدْ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ الشَّرِيفُ مَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ.[١١].

هذه الرواية و ان كانت من جهة نقل

(٧) الجوهري، الصحاح ج٥، ص٢٠١٩.
(٨) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٢٦٣؛ الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٣٧٩ - ١٣٨٠.
(٩) الجوهري، الصحاح ج٦، ص٢٢١٨.
(١٠) الثقفي، الغارات، ج٢، ص٨٢٥؛ الكليني، الكافي، ج٢، ص٦٥٩؛ النيشابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٢٩٢، البيهقي، سنن الكبرى، ج٨، ص١٦٨؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج٢، ص١٢٢٣.
(١١) الكليني، الكافي، ج٨، ص٢١٩.

جميل بن دراج من رسول الله ﷺ مرفوعة و لكن من جهة نقله عن ابي عبدالله عليه السلام و تأييده هى مسندة و لمّا كان رواتها من اجلاء الثقات فالرواية صحيحة.

في هذه الصحيحة «الشريف» و بدل به عن لفظ «الكريم» و تفسير الامام عليه السلام معنى الشريف لجميل بن دراج. يُحتمل عقلاً في هذا النقل اثنان؛ الاول نقل نفس لفظ «الشريف» لا النقل بالمعنى و كأنه قال رسول ﷺ مرةً «كريم» و اخرى «الشريف». الثاني النقل بالمعنى و يؤيده نقل لفظ «الكريم» في روايات اخرى عن الشيعة و السنة. و على ايّ الاحتمالين فالكرامة تكون بمعنى الشرافة. فيستنتج مما ذكر أن الكرامة بمعنى الشرافة و اقل ما يمكن ان يقال الشرافة اقرب المفاهيم الى الكرامة.

اقسام الكرامة

يستفاد من الآيات الكريمة أن الله تعالى كرّم الانسان بكرامتين كرامة ذاتية و كرامة اكتسابية.

١. الكرامة الذاتية:

الكرامة الذاتية الشرافة التى جعل الله تعالى لجنس الانسان و نحو وجوده من دون دخل لاكتسابه. اشار سبحانه و تعالى الى هذه الكرامة فى القرآن الكريم بقوله:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾[سورة الاسراء: ٧٠].

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة «كرّمنا» و قلنا فى الكرامة هى بمعنى الشرافة. فالتكريم بمعنى التشريف. قال العلامة الطباطبائى: «المراد بالتكريم تخصيص الشيء بالعناية و تشريفه بما يختص به و لا يوجد في غيره»[١٢]. البحث المهم في هذه الكريمة في تبيين تكريم الانسان و كيفية تكريمه.

أهمّ مظاهر الكرامة الذاتية

إنّ اهمّ مظاهر كرامة الانسان فى القرآن الكريم التى اشار المفسرون اليها[١٣]

(١٢) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص١٥٦.

(١٣) ينظر: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٦، ص٦٦٢؛ الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج٨، ص١١٢.

او يمكن ان يشار اليها هي:

أ. تسخير الموجودات للانسان:

إنّ بعض المفسرين فسرّوا تكريم الانسان بتسخير الموجودات[١٤] او تسخير السماء و الارض له[١٥]؛ بل يمكن ان تفسر كرامة الانسان بتسخير ما في السموات و ما فى الارض له، كما قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ﴾ [سورة الجاثيه: ١٣]. التسخير فى هذه الآية الكريمة و نظائرها[١٦] يشمل عموم الانسان، لان ضمير «كُم» يرجع الى جنس المخاطبين لا المؤمنين خاصة، كما إن لفظ «بنى آدم» فى الآية الماضية يدل على كل من سمّى ابن آدم.

و التي تؤيّد هذا التفسير الجملتان اللتان ذكرهما تعالى بعد بيان تكريم الانسان بقوله تعالى ﴿ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾.

(١٤) ينظر: الطبرسى، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٦، ص٦٦٢.

(١٥) الجوادى الآملى، تفسير انسان به انسان، ص٢١٩.

(١٦) [سورة النحل: ١٢]؛ [سورة النحل: ١٤] و [سورة الحج: ٦٥].

فإنّ الجملتين تبين مصداقين للعنوان الكلي المنتزع من تكريم الانسان في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[١٧].

ب. العقل و العلم:

إنّ بعض المفسرين فسرّوا تكريم الانسان بالعلم[١٨]؛ او بالخط والكتبة[١٩]. المؤيّد لهذا التفسير ذكر وصف «الاكرم» لله تعالى بعد الأمر بالقراءة و قبل ذكر تعليم الانسان بالقلم، قال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[سورة العلق: ٣ -٥]. فإن وصف الرب بالاكرم في ذكر القراءة و تعليم الناس بالقلم يشعر أن لكرمه تعالى دخلا في تعليم العلم الناس. و لهذا ذكر بعض الكاتبين أن تعليم الانسان و تخليصه من الجهل من مظاهر كرمه تعالى[٢٠].

«الناس» فى الآية يشمل جميع افراد

(١٧) ينظر: الطباطبايي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص١٥٧.

(١٨) وهبة بن مصطفى زحيلى، التفسير المنير ج١٥، ص١٢١.

(١٩) ينظر: الرازى، مفاتيح الغيب، ج٢١، ص٣٧٣.

(٢٠) ينظر: الهاشمى الرفسنجانى و جمع من المحققين، تفسير راهنما، ج٢٠، ص٦٠٤.

الانسان[٢١]، لان اللام فيه للجنس و «ما» في «ما لم يعلم» مطلق يشمل جنس العلم من ايّ طريق حصل للانسان، من طريق العقل او الشرع، لان الطرق كلها تبدأ من الله سبحانه و تنتهى اليه سبحانه. قال الطبرسي: «﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ أي: علّم الخطّ بالقلم، أو علّم الإنسان البيان بالقلم، أو الكتابة... ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ و نقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم، فجميع ما يعلمه الإنسان من أمور الدّين و أنواع العلم، من جهته -سبحانه -إمّا بأن اضطرّه إليه، و إمّا بأن نصب الدّليل عليه فى عقله، أو بيّنه له على ألسنة ملائكته و رسله، فكلّ علم مضاف إليه، مستفاد منه -جلّ اسمه» [٢٢] فالآية مفسرة لآية التكريم لأن «بنى آدم» فى الآية الماضية يدل على كل من سمى ابن آدم و كل ابن آدم له حظ من العلم في مراتب متعددة.

إنّ بعض المفسرين فسروا تكريم الانسان بالعقل و النطق و التمييز[٢٣] او العقل الذى يعرف الانسان به الحق من الباطل و الخير من الشر. قال العلامة الطباطبائي: «بنو آدم مكرمون بما خصهم الله به من بين سائر الموجودات الكونية و هو الذي يمتازون به من غيرهم و هو العقل الذي يعرفون به الحق من الباطل و الخير من الشر و النافع من الضار»[٢٤]. و يمكن الاستدلال لهذا التفسير بالآية المذكورة بالبيان المذكور فراجع.

ج. الاستعداد لقبول الولاية الالهية:

إنّ استعداد الانسان لقبول الولاية الالهية من اهمّ مظاهر الكرامة الذاتية. قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

(٢١) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١٠، ص٧٨١؛ الطباطبايى، الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ص٣٢٤.

(٢٢) الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ج٤، ص٥١٣.

(٢٣) ينظر: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٦، ص٦٦٢؛ الرازى، مفاتيح الغيب، ج٢١، ص٣٧٥.

(٢٤) الطباطبايى، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص١٥٦.

﴿وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الاحزاب: ٧٢ -٧٣].

ذكر المفسرون اقوالاً متعددة فى تفسير الامانة و معنى العرض و اباء السماوات و الارض و حمل الانسان، لكن لما لا يمكن ذكرها و نقدها فى هذه المقالة نشير الى اهم الاقوال و اصحها و هو قول العلامة الطباطبائي و نذكر رأيه الشريف ملخصا. يستفاد من قوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ إلخ، أنه أمر يترتب على حمله النفاق و الشرك و الإيمان، فينقسم حاملوه باختلاف كيفية حملهم إلى منافق و مشرك و مؤمن. فهو لا محالة أمر مرتبط بالدين الحق الذي يحصل بالتلبس به و عدم التلبس به النفاق و الشرك و الإيمان.

بعبارة اخرى إن الامانة هي الكمال الحاصل له من جهة التلبس بالاعتقاد و العمل الصالح و سلوك سبيل الكمال بالارتقاء من حضيض المادة إلى أوج الإخلاص الذي هو أن يخلصه الله لنفسه فلا يشاركه فيه غيره فيتولى هو سبحانه تدبير أمره و هو الولاية الإلهية. فالمراد بالأمانة الولاية الإلهية و بعرضها على هذه الأشياء اعتبارها مقيسة إليها و المراد بحملها و الإباء عنه وجود استعدادها و صلاحية التلبس بها و عدمه، و هذا المعنى هو القابل لأن ينطبق على الآية فالسماوات و الأرض و الجبال على ما فيها من العظمة و الشدة و القوة فاقدة لاستعداد حصولها فيها و هو المراد بإبائهن عن حملها و إشفاقهن منها. لكن الإنسان الظلوم الجهول لم يأب و لم يشفق من ثقلها و عظم خطرها فحملها على ما بها من الثقل و عظم الخطر فتعقب ذلك أن انقسم الإنسان من جهة حفظ الأمانة و عدمه بالخيانة إلى منافق و مشرك و مؤمن بخلاف السماوات و الأرض و الجبال فما منها إلا مؤمن مطيع.

و الظلوم و الجهول وصفان من الظلم و الجهل معناهما من كان من شأنه الظلم و الجهل نظير قولنا: فرس شموس و دابة جموح و ماء طهور أي من شأنها ذلك كما قاله الرازي أو معناهما المبالغة

في الظلم و الجهل كما ذكر غيره، و المعنى مستقيم كيفما كانا. فقوله: ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ أي اشتمل على صلاحيتها و التهيؤ للتلبس بها على ضعفه و صغر حجمه ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ أي ظالما لنفسه جاهلا بما تعقبه هذه الأمانة لو خانها من وخيم العاقبة و الهلاك الدائم و بمعنى أدق لكون الإنسان خاليا بحسب نفسه من العدل و العلم قابلا للتلبس بما يفاض عليه من ذلك و الارتقاء من حضيض الظلم و الجهل إلى أوج العدل و العلم[٢٥].

نزيد على البيان المذكور إن الالف و اللام في «الانسان» يدل على الجنس و يؤيده تفريع انقسام حاملى الامانة إلى منافق و مشرك و مؤمن على حمل الامانة. فالله تعالى عرض الولاية الإلهية على كل انسان باعطاء استعداد قبولها و صلاحية التلبس بها لكن بعض الناس لايحفظها و لايتلبس بها فيسمى بالمنافق و المشرك و بعض الناس يحفظها و يتلبس بها فيسمى بالمؤمن. فالآية شاملة لكل انسان و تثبت كرامة له كما تكريم الناس المستفاد من «بنى آدم» يشمل كل انسان و يثبت تكريم كل انسان.

فالتكريم في ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ .. ﴾ يشمل كل ابن لآدم و هو تشريف الله تعالى الانسان و تخصيصه بعناية تختص به و لا توجد في غيره و اهمّ مظاهر هذا التشريف تسخير الموجودات له و العلم و العقل و استعداد قبول الولاية الالهية. و مما ذكر يعلم ان هذا التكريم ذاتى للانسان من دون دخل لاكتساب الانسان.

٢. الكرامة الاكتسابية:

هذه الكرامة كما تظهر من العنوان، الشرافة التى جعل الله للانسان باكتسابه و لاكتسابه دخل جدِّيٌّ فى هذه الكرامة و بعبارة اخرى الكرامة الاكتسابية هى التى تحصل بفعلية استعدادات الانسان و السعي في طريق الكمال و السعادة باختياره[٢٦].

إنا اذا نظرنا في الكرامة الذاتية و

(٢٥) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص٣٤٩-٣٥١.

(٢٦) ينظر: الجعفرى، تحقيق در دو نظام حقوق جهانى بشر از ديدگاه اسلام و غرب، ص٢٧٩.

الاكتسابية، نجد أن الكرامة الاصلية هي الكرامة الاكتسابية لان الانسان يصل اليها باختياره و بتحقق استعداداته من نفسه و لو لا الكرامة الاكتسابية لما تحققت فائدة كثيرة لكرامته الذاتية.

أهمّ عوامل الكرامة الاكتسابية:

قلنا إن الكرامة الاكتسابية تحصل باكتساب الانسان و سعيه و لهذا يجب علينا ان نذكر عوامل اكتساب هذه الشرافة كي نعرفها بشكل كامل. يستفاد من الآيات الكريمة أن اهم عوامل الكرامة الاكتسابية التقوى و الاعمال الصالحة و توضيحها فى ما يلى:

أ. التقوى:

يستفاد من الآيات الكريمة أن التقوى من اهم عوامل الكرامة الاكتسابية و الشرافة الحقيقية و من كان اتقى فهو اكرم و اشرف عند الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

هذه الآية الكريمة تساوي الانسان فى خلقه من ذكر و انثى و جعله شعوبا و قبائل لتعارفهم. فلا وجه للتفاخر و التفاضل فى الشعب و القبيلة و لا شرافة له من هذه الجهات. و الظاهر أن علة عدم جواز الفخر عدم الاختيار فى اختيار الشعب و القبيلة. انما الشرافة الحقيقية و الكاملة لامر آخر اختيارى و هو التقوى و من كان اكثر تقوى كان اكثر كرامة و شرافة عند الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾.

توضيحه أن «الاكرم» اسم تفضيل من «كريم» و «الاتقى» اسم تفضيل من «تقىّ» و اسم التفضيل يدل على زيادة الشيء فى شيء بالنسبة الى غيره مع اشتراكهما فى اصله، حين نقول: «زيد اعلم العلماء» معناه ان علمه اكثر من علم غيره مع اشتراكهم فى اصل العلم. فالآية مع عدّ الكرامة عند الله للتقى و لا يصرّح بذلك، تذكر اكثر الكرامة لمن تقواه اكثر، لمكان التفضيل في «اكرم» و «اتقى». و الشاهد لهذا البيان اشتراط الكرامة بالتقوى فى بعض الراويات، كما يذكر بعد.

فالآية تعدّ الكرامة للتقوى و تعدّ

اكثر الشرافة لمن كان اتقى. قال العلامة الطباطبائي:

«إن الإنسان مجبول على طلب ما يتميز به من غيره و يختص به من بين أقرانه من شرف و كرامة، و عامة الناس لتعلقهم بالحياة الدنيا يرون الشرف و الكرامة في مزايا الحياة المادية من مال و جمال و نسب و حسب و غير ذلك فيبذلون جل جهدهم في طلبها و اقتنائها ليتفاخروا بها و يستعلوا على غيرهم و هذه مزايا وهمية لا تجلب لهم شيئا من الشرف و الكرامة دون أن توقعهم في مهابط الهلكة و الشقوة، و الشرف الحقيقي هو الذي يؤدي بالانسان إلى سعادته الحقيقية و هو الحياة الطيبة الأبدية في جوار رب العزة و هذا الشرف و الكرامة هو بتقوى الله سبحانه و هي الوسيلة الوحيدة إلى سعادة الدار الآخرة، و تتبعها سعادة الدنيا قال تعالى: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[سورة الأنفال: ٦٧] و قال: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[سورة البقرة: ١٩٧]، و إذا كانت الكرامة بالتقوى فأكرم الناس عند الله أتقاهم كما قال تعالى»[٢٧].

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَ إِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَ لَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَ لَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَ لَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى قَالَ اللهُ تَعَالَى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ»[٢٨].

ب. الاعمال الصالحة:

يستفاد من القرآن الكريم ان بعض الاعمال الصالحة توجب الكرامة للانسان و من كان متصفاً بهذه الاعمال كان مكرما و شريفاً عند الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ

(٢٧) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص٣٢٧.

(٢٨) الكراجكي، معدن الجواهر و رياضة الخواطر، ص٢١.

قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُم عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ [سورة المعارج: ٢٢ -٣٥].

في هذه الآيات يذكر تعالى المصلين و يصفهم بخصال ثم يذكر نتيجة و ثواب اعمالهم انهم في جنات مكرمون و ذوشرافة. التعبير بـ(المكرمون) بعد ذكر خصال للمصلين يدل على انها علة و معدّة لتكريمهم. الاعمال الصالحة التى ذكرت فى هذه الآيات هي:

١. الدوام على الصلاة.
٢. الزكاة.
٣. التصديق بيوم الدين.
٤. الاشفاق من عذاب ربهم.
٥. الحفظ للفروج الا على الازواج او ما ملكت الايمان.
٦. رعاية الامانة.
٧. رعاية العهد.
٨. القيام بالشهادة.
٩. المحافظة على الصلوات.

أهمّ مظاهر الكرامة الاكتسابية في الدنيا

إنّ الله سبحانه جعل للكرامة بالتقوى في مراتب مختلفة نتائج متعددة فى الدنيا و الاخرة. يستفاد من بعض الآيات هذه النتائج و للاختصار نشير الى نتائجها فى الدنيا.

أ. البركات الكثيرة من السماءو الارض:

من احد مصاديق الكرامة الاكتسابية البركات الكثيرة من السماء و الارض و ان كان الانسان تقيّا لاستفاد من بركات السماء و الارض و من فوقه و تحت رجله، يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [سورة الاعراف: ٩٦] و ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾[سورة المائدة: ٦٦].

ب. الحقوق الخاصة و التأكيد لها:

من احد مظاهر الكرامة الاكتسابية الحقوق الخاصة لمن اتصف بها و التأكيد لها بحيث لا يرى هذا التأكيد لغيرهم. يستنتج بالتأمل بين الحقوق و الكرامة أن الحقوق كالمعلول و الكرامة كالعلة و الله سبحانه جعل للانسان المتقى حقوقا و لو لا تكريمه لما جعل له هذا الحقوق

و لما اكّد لها. فالايمان و التقوى عاملان للكرامة الاكتسابية و الله سبحانه جعل حقوقاً خاصة للمؤمنين بهما و أكد لها بحيث لا يرى هذا التأكيد في غير المؤمنين. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

يستفاد من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى جعل المؤمنين إخوة فى المجتمع الاسلامى لها آثار شرعية و حقوق مجعولة و آثار اجتماعية و لا أثر لها في النكاح و الإرث كأُخُوَّة طبيعية او رضاعية[٢٩]. و حقوق المؤمن ذكرت في الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام[٣٠].

و في هذه الوجيزة نشير الى بعض الروايات.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «مِنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ عَلى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُشْبِعَ جَوْعَتَهُ، وَ يُوَارِيَ عَوْرَتَهُ، وَ يُفَرِّجَ عَنْهُ كُرْبَتَهُ، و يَقْضِيَ دَيْنَهُ، فَإِذَا مَاتَ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ وَ وُلْدِهِ»[٣١].

كما نقل عَن اسحاق: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا إِسْحَاقُ، كَيْفَ تَصْنَعُ بِزَكَاةِ مَالِكَ إِذَا حَضَرَتْ قَالَ: يَأْتُونِي إِلَى الْمَنْزِلِ فَأُعْطِيهِمْ. فَقَالَ لِي: مَا أَرَاكَ يَا إِسْحَاقُ إِلَّا قَدْ أَذْلَلْتَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ، إِنَّ اللهَ (تَعَالَى) يَقُولُ: مَنْ أَذَلَّ لِي وَلِيّاً فَقَدْ أَرْصَدَ لِي بِالْمُحَارَبَةِ»[٣٢].

النتائج

تستنتج مما ذكر الأمور التالية:

١. الكرامة بمعنى الشرافة و كرامة الانسان بمعنى شرافة الانسان و تخصيصه بعناية تختص به و لا توجد في غيره.

٢. الكرامة تنقسم على: كرامة ذاتية و اكتسابية و لكل منهما مظاهر مختلفة.

٣. من اهمّ مظاهر الكرامة الذاتية تسخير الموجودات له و العلم و العقل و استعداد قبول الولاية الالهية.

٤. الكرامة الاكتسابية الشرافة التى جعل

(٢٩) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص٣١٥-٣١٦.

(٣٠) الروايات فى حقوق المؤمن كثيرة و الصدوق رحمه الله ألّف كتاباً في «مصادقة الاخوان».

(٣١) الكليني، الكافي، ج٢، ص١٦٩.

(٣٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ص١٩٥.

الله للانسان باكتسابه و التى تحصل بفعلية استعدادات الانسان و السعى في طريق الكمال و السعادة باختياره.

٥. من اهم عوامل الكرامة الاكتسابية التقوى و الاعمال الصالحة.

٦. من مظاهر الكرامة الاكتسابية فى الدنيا البركات الكثيرة من السماء و الارض و الحقوق الخاصة لمن اتصف بها و التأكيد لها بحيث لا يرى هذا التأكيد لغيرهم.

المصادر

١. الآلوسي، محمود، روح المعانى في تفسير القرآن العظيم، دارالكتب العلمية، بيروت، ط ا، ١٤١٥ ق.

٢. ابن فارس، احمد، معجم مقاييس اللغة، مكتب الاعلام الاسلامي، ١٤٠٤ ق.

٣. ابن ماجه، محمد بن يزيد، السنن ابن ماجه، دارالفكر للطباعة و النشر و التوزيع.

٤. البيهقي، احمد بن حسين، السنن الكبرى، دار الفكر.

٥. الثقفي، ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال، الغارات، دار الكتب الاسلامية، قم، ط١، ١٤١٠ق.

٦. الجعفرى محمدتقى، تحقيق در دو نظام حقوق جهانى بشر از ديدگاه اسلام و غرب و تطبيق آن دو بر يكديگر، الطهران، دفتر خدمات حقوقى بين المللى جمهورى اسلامى ايران، ط١، ١٣٧٠ش.

٧. الجوادي الآملي عبد الله، تفسير انسان به انسان، مركز نشر إسراء، قم، ط٢، ١٣٨٥ش.

٨. الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، دارالعلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ق.

٩. الحاكم النيشابورى ابو عبد الله، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت.

١٠. الراغب الاصفهاني، حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دفتر نشر كتاب، ط٢، ١٤٠٤ق.

١١. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج،

بيروت دمشق، دار الفكر المعاصر، ط ٢، ١٤١٨ ق.

١٢. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم، موسسة النشر الاسلامي.

١٣. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان لعلوم القرآن، انتشارات ناصر خسرو، الطهران، ط٣، ١٣٧٢ ش.

١٤. جوامع الجامع، انتشارات دانشگاه تهران و مديريت حوزه علميه قم، ط١، ١٣٧٧ ش.

١٥. الطوسي، محمد بن الحسن، الامالي، چ اول، دار الثقافة، قم، ١٤١٤ق.

١٦. الفراهيدي، الخليل بن احمد، كتاب العين، موسسة دارالهجرة، ط٢، ١٤٠٩ ق.

١٧. الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠ق.

١٨. الكراجكي، محمد بن على معدن الجواهر و رياضة الخواطر، المكتبة المرتضوية، طهران، ١٣٥٣ ش.

١٩. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٤٠٧ ق.

٢٠. الهاشمي الرفسنجاني اكبر و جمع من المحققين، تفسير راهنما، مؤسسه بوستان كتاب قم، ط١، ١٣٨٣ ش.